بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ * قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

سورة السّجدة

سورة السجدة مكيّة وآياتها ثلاثون آية.

[١] سبق الكلام علىٰ الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

[٢] يخبر جل وعلا أن هذا القرآن الذي جاء به محمد ﷺ لا شك ولا ريب أنه تنزيل من عند الله رب الخلائق أجمعين، وليس كما يقول المشركون بأنه سحر أو كهانة أو أساطير الأولين.

[٣] أيقول المشركون: إنك يانبي الله افتريت هذا القرآن من عند نفسك؟، لقد كذبوا؛ بل هو الحق الثابت المنزل عليك من ربك؛ لتنذر به أمتك الأمية التي لم يأتهم نذير من قبلك لعلهم يهتدون إلىٰ الحق وإلىٰ التوحيد وإخلاص العبادة لله.

[٤] يخبر جل وعلا بأنه هو الذي خلق السماوات والأرض وخلق ما بينهما من رياح وغيرها في ستة أيام، وهو قادر علىٰ خلقها في لحظة وذلك لحكم يعلمها سبحانه، ومن ذلك تعليم عبادة التؤدة والترتيب، ثم استوىٰ، أي: علا وارتفع سبحانه علىٰ العرش، استواءً يليق بجلاله؛ من غير تشبيه ولا تعطيل، واعلموا أيها الناس أنكم إذا خالفتم أوامر الله ونواهيه فإنه ليس لكم من دونه من ولي يتولىٰ أموركم، ولا شفيع يشفع لكم عنده لتنجوا من عذابه، أفلا تتعظون وتعتبرون فيحملكم ذلك علىٰ توحيد الله واخلاص العبادة له وحده؟.

[٥] ومن صفاته جل وعلا أنه يدبر أمر المخلوقات من السماء إلىٰ الأرض ويحكمها إلىٰ أن تقوم الساعة، ثم تصعد الملائكة المدبرة إليه سبحانه في يوم مقداره ألف سنة من أيام الدنيا المعروفة التي يعدها الناس.

قال أستاذنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب تفسير أضواء البيان أثناء تدريسه لنا في كلية الشريعة مادة التفسير: الأيام الستة هذه اليوم الواحد منها مقداره في سيره وعروجه ألف سنة من حسابنا المعتاد، وأن يوم الألف سنة المذكور في قوله: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج:٤٧]، هو أحد الأيام الستة التي خلق الله فيهن السماوات والأرض. وأما يوم الخمسين ألف سنة المذكور في قوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤]؛ فهو يوم القيامة وذلك بالنسبة للكافرين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان:٢٦]، وذكر قولًا آخر أن كل الأيام تنطبق علىٰ يوم القيامة بالنسبة لتعدد مواقفه وبالنسبة للكافرين كما قال: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر:٩ - ١٠].

[٦] واعلموا أيها الناس أن الذي خلق هذه المخلوقات العظيمة، واستوىٰ علىٰ العرش، وتفرد بتدبير أمور الكون، هو الله سبحانه العالم بكل ما يغيب عن الأبصار، وما تشاهده من أعمال عباده، العزيز الغالب الذي قهر كل شيء وغلبه، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء.

[٧-٨-٩] ثم أخبر جل وعلا أنه أتقن خلق كل شيء من مخلوقاته، وأخبر أنه بدأ خلق الإنسان - وهو أبونا آدم - من طين. ثم جعل تناسل ذرية آدم عن طريق ذلك الماء الضعيف المستقذر. ثم أتم سبحانه خلقه وأبدعه في أحسن صورة، ثم نفخ فيه من روحه، ثم امتن الله عليكم أيها الناس فجعل لكم نعمة السمع والأبصار لتميزوا بين الأصوات وتعرفوا الأشخاص والألوان، ونعمة العقل لتميزوا بين الخير والشر، ومع كل هذه النعم فإن قليلًا من الناس من يشكر الله علىٰ نعمه.

[١٠] وقال المشركون علىٰ سبيل الإنكار ليوم القيامة: أإذا تحللت أجسامنا وصارت ترابًا واختلطت بالأرض؛ فهل سنبعث خلقًا جديدًا، قالوا ذلك جحودًا وكفرًا لأنهم أصلًا منكرون للبعث؛ فلهذا هم كافرون بلقاء الله يوم القيامة.

[١١] وقل يانبي الله لهؤلاء المشركين: سوف يتولىٰ ملك الموت قبض أرواحكم؛ حيث إن الله كلفه بهذه المهمة، ثم تبعثون يوم القيامة للحساب فيجازيكم علىٰ جميع أعمالكم بما تستحقونه من خير أو شر.

قال شيخنا محمد الأمين الشنقيطي: إن إسناد التوفي إلىٰ ملك الموت في هذه الآية؛ لأنه هو المأمور بقبض الأرواح، وإسناده للملائكة في قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [محمد:٢٧]؛ لأن لملك الموت أعوانًا يعملون بأمره، وإسناده إلىٰ الله في قوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر:٤٢]؛ لأن كل شيء كائنًا ما كان لا يكون إلا بقضاء الله وقدره وأمره.

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ
رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ
﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ
ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ
﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ
وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ
بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ
عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ
جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ
لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ
جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟
فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا
وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

[١٢] ولو ترىٰ يانبي الله حال المجرمين المكذبين بالبعث يوم القيامة حين العرض علىٰ الله، وهم في غاية الذل والهوان، قد غشيتهم الحسرة والندامة، فَحَنَوْا رؤوسهم في ذل وخزي قائلين: ربنا لقد أبصرنا الحقيقة بأعيننا وسمعنا بآذاننا ما كنا ننكره ونجحده، فردّنا يارب إلىٰ دار الدنيا نعمل عملًا صالحًا، إنا موقنون مصدقون بالبعث والجزاء تصديقًا جازمًا لا شك فيه.

[١٣] يخبر جل وعلا أنه لو شاء لوفق كل نفس وأرشدها للإيمان؛ فهو قادر سبحانه أن يوفق الناس جميعًا للهدىٰ، ويجعلهم كالملائكة، ولكن اقتضت حكمة الله أن يجعل الناس مختارين، ثم يملأ جهنم ممن يختار الكفر والذنوب والمعاصي، ويملأ الجنة ممن يتبع الرسل ويختار الهدىٰ.

[١٤] ويقال لهؤلاء المجرمين يوم القيامة عند دخولهم النار: فذوقوا أيها المجرمون عذاب النار؛ بسبب بعدكم وإعراضكم عن الهدىٰ والإيمان بالآخرة وما فيها من الحساب، ولقد تركناكم اليوم في العذاب بسبب إصراركم علىٰ الكفر والجحود والضلال، فذوقوا عذاب الخلد بسبب ما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر والمعاصي.

وقوله: ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾، أي: تركناكم في النار تركًا كالنسيان لكم، وكلمة (نسيناكم) أتت مقابلة لنسيانهم، والله جل وعلا تنزه عن أن تغيب عنه غائبة؛ فهو منزه عن كل نقص.

[١٥] يخبر جل وعلا أن الذين يومنون بآيات الله إيمانًا حقيقيًّا ويصدقون بها تصديقًا جازمًا؛ أولئك الذين إذا ذكروا بآيات ربهم أنصتوا وخشعوا لها، واتعظوا بها، وخروا ساجدين لله خاضعين له، وبدأوا يسبحون الله ويحمدونه وينزهونه عما لا يليق بجلاله وعظمته، وهؤلاء المؤمنون لا يستكبرون عن الانقياد والخضوع والسجود لله جل في علاه.

[١٦] وهؤلاء المؤمنون ترتفع جنوبهم وتتباعد عن الفُرُش المعدَّة للنوم والراحة والدعة في أكثر ساعات الليل، لانشغالهم عنها بصلاة التهجد، ومناجاة الله رب العالمين، فهم يدعون الله جامعين بين صفتي الخوف والرجاء، فيدعون الله وهم خائفون من عذابه، ومن ردِّ أعمالهم وعدم قبولها، راجين ثواب الله، طامعين في إدراك رضاه ودخول جنته، ومما رزقهم الله ينفقون فيخرجون زكاة أموالهم، ويتصدقون زيادة عليها.

[١٧] ثم أخبر جل في علاه أنه لا أحد يعلم ماذا أعدَّ الله لهؤلاء المؤمنين من الأجر العظيم، والنعيم المقيم، جزاءً لهم علىٰ أعمالهم الصالحة في الدنيا، وقد جاء في الحديث القدسي: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر**»[1]، اللهم اجعلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

[١٨] ثم أخبر جل وعلا عن عدله وكرمه أنه لا يساوي في حكمه يوم القيامة من كان مؤمنًا بالله مصدِّقًا برسوله ﷺ، عاملًا الصالحات، بمن خرج عن طاعة الله، وكذّب برسوله ﷺ، وبالبعث، وباليوم الآخر وما فيه من الحساب؟! هل يستوي هذا بهذا؟! الجواب: قطعًا لا يستوون.

[١٩] ثم بين سبحانه أن الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله ﷺ، وعملوا الصالحات، فأولئك لهم جنات يأوون إليها وينزلون فيها، قد أعدَّها الله وهيَّأها لهم جزاءً لهم علىٰ ما عملوا من الصالحات، وما قدموا -طلبًا لرضا ربهم- من القُرُبَات.

[٢٠] وبين سبحانه أن الذين خرجوا عن طاعة الله، وتمردوا علىٰ أوامره وتكبروا عليها، فمقرهم ومحلّ إقامتهم نار جهنم، كلما حاولوا الخروج منها ردَّتهم ملائكة العذاب إليها، وقيل لهم تبكيتًا وتوبيخًا وتقريعًا: ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ
أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَـٰهُ
هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا
لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ
﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ
بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ
﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾
قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ
يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ ۖ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

سورة الأحزاب

[٢١] يخبر جل وعلا أن هؤلاء الفاسقين الخارجين عن طاعة الله سوف يذيقهم الله من عذاب الدنيا ويبتليهم بالمصائب والمحن قبل عذاب الآخرة؛ لعلهم يرجعون عن الكفر إلىٰ الإيمان، وعن الفسق والتمرد إلىٰ الطاعة والإذعان.

[٢٢] واعلموا أيها الناس أنه لا أحد أشد وأعظم جرمًا وظلمًا ممن وُعظ ونصح بآيات الله فصم أذنيه ثم أعرض عنها جحودًا وكفرًا، لأن آيات الله كلها آيات حكمة وإرشاد، وفيها سعادة الدارين الدنيا والآخرة، وأن الله سينتقم من أهل الإجرام والجحود لآياته جل وعلا.

[٢٣] ثم يخبر جل وعلا أنه آتىٰ موسىٰ عليه السلام التوراةَ من قبلك، فنزول القرآن عليك ليس بدعًا من الأمر، فلا تكن في شكٍّ من لقائك بموسىٰ في ليلة الإسراء والمعراج، ولقد جعلنا هذه التوراة هدًىٰ لبني إسرائيل تهديهم إلىٰ الطريق المستقيم، وإلىٰ الدين القويم.

[٢٤] يخبر جل وعلا بما منَّ به علىٰ بني إسرائيل بأنه جعل منهم أئمةً ودعاةً وعلماءَ يهدون غيرهم إلىٰ الحق، ويدعونهم إلىٰ التوحيد والإيمان، وقد نال هؤلاء هذه المرتبة العليا بصبرهم علىٰ التعلم والتعليم، والدعوة، وتحمل الأذىٰ فيها، وكانوا بآيات الله مصدقين بها تصديقًا جازمًا علىٰ علم تام بها، فدفعهم ذلك إلىٰ العمل بها والدعوة إليها، وبالصبر واليقين والعمل تُنال الإمامة في الدين.

[٢٥] ثم اعلم يانبي الله أن ربك يفصل بين المؤمنين والكفار، وبين الرسل وأتباعهم، والمشركين وأوليائهم يوم القيامة بالعدل فيما اختلفوا فيه، وتنازعوا عليه.

[٢٦] أولم يتبين لهؤلاء المكذبين للرسول ﷺ المعاندين له كم أهلكنا من قبلهم من الأمم المكذّبةِ لرسلها؟! وهم يشاهدون مساكنهم ويمشون فيها! إن في ذلك لآياتٍ بيِّناتٍ، أفلا يسمع هؤلاء هذه المواعظ فتحرك قلوبهم فيؤمنوا ويصدقوا؟!

[٢٧] أفلا يبصر هؤلاء المكذبون المعاندون أن الله ينزل ماء الأمطار إلىٰ الأرض اليابسة التي لا نبات فيها، فيخرج بهذا الماء زرعًا يستفيدون به وتستقيم به حياتهم، فتأكل من هذا الزرع أنعامهم، ويأكلون هم منه أيْضًا، أفلا يبصرون هذه النعم فيهتدون بذلك إلىٰ الصراط المستقيم، وتوحيد رب العالمين!

[٢٨] عندما قال المسلمون للكفار: اعلموا أن لنا يومًا سيقضي الله فيه بيننا وبينكم، فقال الكفار استهزاءً وسخرية: متىٰ هذا اليوم إن كنتم صادقين في دعواكم؟.

[٢٩] فأمر جل وعلا نبيه محمدًا ﷺ أن يقول لهؤلاء الكفار: اعلموا أن يوم القضاء والحساب بيننا وبينكم قريب، ولن ينفعكم إيمانكم ولا اعتذاركم في ذلك اليوم، ولن يُؤخِّرَ جل وعلا عذابكم؛ بل سيحل بكم العذاب سريعًا.

[٣٠] ثم ختم جل وعلا هذه السورة بأمر نبيه ﷺ أن يعرض عن هؤلاء الكفار، ولا يبالي بتكذيبهم، وأن ينتظر حتىٰ يأتي نصر الله، فإن هؤلاء الكفار أيضًا ينتظرون ما سيحل بك وما سيئول إليه أمرك، ولكن ستكون العاقبة لك؛ لأن العاقبة للمتقين.